



**دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال**  
**Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks**

**قدمت هذه الورقة في ندوة "دولتا السودان.. فرص ومخاطر" بالدوحة**

**١٤ و ١٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٢**

# **دهاء التاريخ: قضايا الصراع في جمهورية السودان**

**د. حيدر ابراهيم علي**

**مدير مركز الدراسات السودانية**



**مركز الجزيرة للدراسات**  
**ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES**



## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### مدخل



د. حيدر إبراهيم علي

تعمدت إسقاط عبارة "بعد الانفصال" من العنوان لأنها تحدد مرحلة تاريخية بعينها، بينما قضايا الصراع في السودان، هي نفسها -في جوهرها- الممتدة منذ الاستقلال، ولن تكون مختلفة بعد الانفصال، طالما ظلت السياسات والعقليات كما هي. فهذه سيرورة تاريخية، وسلسلة لم تنقطع من الفشل والإخفاقات سارت عكس التاريخ، وروح العصر الممثلة في الديمقراطية، والتنمية، والعقلانية. وركنت النخب والقيادات السودانية إلى التحايل على التاريخ بمواصلة

تجارب الحماقات، ولم تتوقف لتفكر، وتراجع، وتنقد، لإصلاح مسيرتها. والسؤال الحقيقي: هل يمكن أن نكتب تاريخين أي ما قبل وما بعد الانفصال؟ ورغم هول الحدث والذي كان يمكن أن يكون كالزلزال في بلدان أخرى، لم يختلف اليوم التالي عن بقية الأيام.

واجه السودان، مثل سائر الكيانات السياسية حديثة الاستقلال، إشكالية بناء الدولة الوطنية، أو الدولة القومية. يعود هذا المشكل عموماً، إلى كون الدولة جاءت أصلاً من الخارج أي مستزرعة، وليست نتاجاً لتطور تاريخي طبيعي ذاتي. الأمر الثاني، وهذا ما تعرض له السودان بوجه خاص، لم تكن هذه الدول تجمعها قومية واحدة كألمانيا أو إيطاليا مثلاً، ليس بالضرورة أن تكون أغلبية عددياً، ولكن قادرة على التوحيد وجامعة. فقد كان السودان شديد التنوع وبالتالي معقد التطور، لأنه متنافر وقابل للنزاعات والصراع. ولذلك، فشل السودان منذ الاستقلال ١٩٥٦ في إدارة التنوع الثقافي من خلال بناء الدولة الوطنية التي تقوم بانجاز تنمية مستقلة وعادلة.

### قراءة المستقبل انطلاقاً من الماضي

من الواضح أن هذه الندوة ذات طابع مستقبلي واستشراقي، وتهدف إلى الإجابة على سؤال: ماذا سيفعل السودانيون-شماليين وجنوبيين- بغدهم؟ وما هي خطتهم للمستقبل؟ ولكن كلنا





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

يعلم أن المستقبل يبدأ اليوم وهنا أي يبدأ من هذا المكان، ومن الواقع، والحاضر، والتاريخ. ولا يمكن أن نقفز بهلوانيا إلى سديم من الزمن أو إلى يوتوبيات وأحلام يقظة ونطلق عليها المستقبل. وقد قيل لنا ببساطة: وما نيل المطالب بالتمني.

وفي البداية لا بد من إقرار أن المستقبل يعني قراءة التاريخ بعيون جديدة وهذا يعني النقد الذاتي بقصد الإفادة من عبر ودروس التاريخ، بدءا من طرح أسئلة مثل: لماذا فشلت التجربة السودانية في بقاء السوداني موحدا؟ ولماذا فشلت النخب الحاكمة في إقناع الأقاليم الهامشية بالدولة القائمة؟ ولماذا لم تتمكن من جذب القوى السياسية المختلفة إلى صيغة حكم قومي وليس شموليا شكليا؟ يعود ذلك -في افتراضي- إلى غياب الرؤية الفكرية الشاملة للكون والإنسان والمجتمع أي فلسفة ونظرية تبغي التفسير والتغيير. وهذا لا يعني المطالبة بحكم الفلاسفة، ولكن المطلوب السعي نحو نظام حكم يجمع بين العقلانية والواقعية أي حكم راشد.

أزمة الحكم في السودانيين - الشمال والجنوب - بنيوية أي في غياب الرؤية ثم تطبيق هذه الرؤية بمنهجية وعلمية علي الواقع. ومثل هذه الأعمال التي نقوم بها تقدم معالجات وظيفية أو جزئية مرتبطة بأداء الوظائف وليس بكلية البناء وبالتالي لا تساعد في عملية التغيير الشامل والجدري. فالأوراق والدراسات فنية الطابع وقد تكون جيدة التخصص وحسنة الصياغة، ولكن تفتقد الأسس الفكرية ذات الصلة بالرؤية. فقد تم نقاش الأزمة السودانية أو الخطط للتنمية والتغيير في مئات الندوات والورش والسمنارات. كما انعقدت المؤتمرات منذ مؤتمر أركويت في ستينيات القرن الماضي وحتى الإستراتيجية الشاملة (الربع قرنية!) مرورا بمؤتمرات النميري، والصادق المهدي، والجامعات، والمنظمات الدولية من هولندية وألمانية ونرويجية وأمريكية وإفريقية. وهذه الندوة لن تكن الأخيرة، ويبقى السؤال: لماذا لم تستطع هذه الجهود الفكرية والأكاديمية أن تجنب السودان الوقوع في الكارثة الراهنة؟ لا يوجد نقص في الخطط والأفكار والتوصيات، ولكن بلا رؤية شاملة تصير كلها كلاما خاويا بلا معنى أو جدوى. فهذه التحديات والمشكلات مثل: الحدود، والنفط، والأصول والديون، وأبيي، والمياه؛ قضايا هامة ولكن تأتي بعد معرفة الإجابة علي سؤال: كيف يريد الجنوب أن يحكم دولته الوليدة -كما يقال؟ وكيف يريد الشمال أن يحكم ما تبقي من وطن بعد أن فرط في ثلثه؟ وفي هذه الحالة لا تجدي "الينبغيات" والنصائح بدون تحديد الرؤية. وتلازم وضوح الرؤية الإرادة الوطنية باعتبارها شرط القدرة علي احداث التغيير.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### البدايات الخاطئة

نخطئ حين نظن أن القضايا التي يبحثها هذا اللقاء ناتجة عن التحولات التي شهدتها السودان من توقيع اتفاقية السلام الشامل عام ٢٠٠٥، ثم بعد ذلك تداعيات الانفصال بعد ٢٠١١. إن قضايا الصراع التي تثيرها الندوة ذات جذور بعيدة، ولكن تعمد السودانيون وفي كل مرة يقفزون علي المرحلة السابقة دون تصفية حساباتهم الماضية بالنقد، والتأمل والتأسي بالعبر. وهذا يعني الاستخفاف بالتاريخ، وعدم التعامل معه بجدية. وكان التاريخ يضمم الانتقام لمن لم يتعلموا منه، أو حاولوا تكراره بطريقة أقرب إلى المأساة. وهذا ما يسميه (هيغل) دهاء التاريخ، أو مكر التاريخ؛ وهو ماكر كبير، وهو الآن يمارس صناعته هذه مع السودانيين الشماليين والجنوبيين. والدولتان في أسوأ أحوال ممكنة، ونحن مبشرون بدولتين فاشلتين متجاورتين ستقومان بترحيل كل الإخفاقات الداخلية والأزمات الذاتية إلى صراع خارجي مع الدولة الأم سابقا. وفي هذه الحالة لا يتوقف الصراع لأن هنالك - باستمرار- مؤامرة أو عدو خارجي. وهذا يعني عدم البحث عن الخطأ والقصور في الواقع والحياة، وبالتالي البعد عن الأسباب الفعلية وتوهم الأسباب. وهنا تغيب المعرفة والفكر وتسود الايدولوجيا أو الفكر الزائف. وهذه هي الإشكالية التي حكمت سياسة وفكر السودان منذ الاستقلال، وستظل مستمرة طالما ظل العقل والنهج كما هو، فلن يتغير شيئا ويتكرر التاريخ ويتكرس الركود. وحل أو إكمال الإشكالية هو الطريق السليم لتكوين الرؤية. إذ تعرف الإشكالية عند الاجتماعيين بأنها النمط النظري الذي تطرح من خلاله مشكلة واقعية، أو الطريقة التي يحول بها النظر أو الفكر، الواقع إلى مشكلات أي قضايا يمكن تحديدها وتقديم إجابات وحلول لها. فهي صورة عقلية للواقع تتكون بطريقة تتدخل فيها عناصر المعرفة العلمية، والقيم الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، هناك إشكالية مصطنعة لا تعبر عن الواقع ولا التناقضات والصراعات الحقيقية، ولكن قد تخلق تناقضات أو وحدة وانسجاما غير حقيقيين بإسقاط التصور علي الواقع. هذا وقد تعاملت النخب السودانية مع الواقع السودان من خلال إشكالية مصطنعة طوال الوقت. ولذلك، عاش السودان حالة الأزمة والصراع بلا انقطاع منذ الاستقلال.

يقول أحد المسؤولين ومنظري النظام الحالي، غازي صلاح الدين، في نفس السياق السابق:  
"منذ الاستقلال ظل السعي لإقامة دولة حديثة، قضية مركزية في السياسة السودانية





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

والإفريقية، علي وجه العموم. وفي السودان حدّ الصراع في الجنوب من جهود الاستقلال وإقامة دولة مستقلة وقادرة علي القيام بوظائفها. الاستعمار عزل الجنوب عن الشمال مما أدى إلى بروز هوية مختلفة وأيضاً موقف عدائي تجاه الشمال. وقد كان هذا هو العنصر الأهم في تشكيل السياسة السودانية منذ الاستقلال وحتى الانفصال. الجنوب انفصل، بينما العديد من مشكلات الماضي مازالت عالقة. أدى اختفاء الجنوب كجسم إلى خلق ظروف جديدة تسمح بانتهاج أساليب جديدة في التعامل التي تواجه البلد." (١)

هذا نص ممثل جيد للإشكالية الخاطئة التي طرحتها النخب السودانية تجاه كيفية بناء الدولة الحديثة، ولا يقتصر الأمر علي الإسلامويين السودانيين فقط. ولكنهم يجب أن يتحملوا وزر بداية الأزمة وختامها. فقد كان أول من أدخل البلاد في نفق الحل الديني لمشكلة طابعها سياسي واقتصادي-اجتماعي، وهذا ما سوف أبينه لاحقاً. وفي النهاية تم الانفصال وقبله توقيع اتفاقية السلام الشامل تحت سلطة حكم الإسلامويين.

يعطي (صلاح الدين) الأزمة السودانية بعدها التاريخي، وهذا فهم جيد للأزمة، ولكن يترك الغموض قائماً حين يقف عند حد الوصف فقط ولا يلج في تحليل أعمق. وفي هذه الحالة يعطي القارئ الحق في التساؤل: هل ما حدث للسودان منذ الاستقلال كان "حتمية تاريخية" أو قضاء وقدر، ولا توجد أي خيارات أخرى ممكنة غير ما عشناه فعلاً؟ ألم تكن هناك أي احتمالات أخرى أمام النخب السودانية لافتراع تاريخ مختلف للسودان؟ أقول نعم، كان من الممكن أن يكون الخيار مختلفاً لو كان عقل النخب مختلفاً وطرح الأسئلة صحيحاً. ولكن الإشكالية المصطنعة أو الخاطئة هي التي حددت وحكمت المسار الصراع والتمتازم الذي انتجه السودان. فقد واجهت الدول الإفريقية جميعها- كما ذكر- نفس عواقب المرحلة الاستعمارية، ولكن لم يصل بها الأمر حد الانفصال وبعد سنوات مديدة من الاقتتال. وصار للسودان شرف كونه صاحب أطول حرب أهلية في القارة بلا منازع.

وحتى نيجيريا التي وصلت حرب بيافرا الأهلية ذروتها، استطاعت في النهاية بحكمة، تجنب الحرب الأهلية وبقيت موحدة. ومن ناحية أخرى، كان آباء الاستقلال الأفارقة -في الغالب- أصحاب رؤى فكرية لقيادة بلدانهم. وقد كانوا جميعاً مهمومين بتحديث أو في أسوأ الأحوال





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

"غربنة" بلدانهم، بسبب تكوينهم الفكري الغربي. فقد ظهرت في ستينيات القرن الماضي أي في عصر موجة الاستقلالات شخصيات مثل: نكروما، ونايريري، وسيكوتوري، وسنغور، وغيرهم من المميزين فكريا. وكان تداول أفكار الاشتراكية الإفريقية، والزوجة، والجماعية، والإفريقية وغيرها من المشروعات الفكرية الكبرى والرؤى الطموحة. ولكن السودان والذي سبق زنيا كل هذه الدول، لم يتعد همه الفكري الجدل حول الاستقلال أو الوحدة مع مصر.

نال السودان استقلاله دون أن يضع أي خطط لانجاز الوحدة الوطنية والتنمية باعتبارهما أساس أي دولة حديثة. وقد حسم تحدي التنمية بشعار: "تحرير لا تعمير". أما قضية بناء الجماعة القومية وحشدها حول برنامج أو مشروع قومي. ولم يكن من المنطقي أن تقوم الطائفتان الدينيتان بهذه المهمة، إذ كان يههما إبقاء مناطق النفوذ ثابتة مع صعوبة التحول من طائفة إلى أخرى. وحدث تغيير جديد تمثل في وسيلة أخرى لاستغلال وتوظيف الدين عوضا عن الطريقة التقليدية العتيقة القائمة علي الولاء العاري من أي غطاء إيديولوجي. وهنا برز دور الجماعة أو الحركة الإسلامية ذات التعليم الحديث طارحة الشعار العاطفي الجذاب الذي حوّل الفكر تماما عن الاهتمام المباشر بقضايا الوحدة الوطنية، والتنمية كأولويات مع المطلب الجديد الذي لا يخلو من قدسية.

دخل السودان -لسوء الحظ- مبكرا في جدل استنفذ طاقاته، وخياله، وقدراته، حول دينية الدولة أو مدنيته. ودخل السودان في هذا النفق بسبب إستراتيجية الإخوان المسلمين السودانيين التي لم تدرك التنوع الثقافي في هذا البلد المعقد.

وطغي صوت معركة الدستور الإسلامي علي كل الأصوات، ومثل هذا الوضع في بعض الأحيان ابتزازا وإرهابا فكريا. فقد كان من الصعوبة الوقوف ضد هذا المطلب إلا من قبل قلة صغيرة امتلكت الجرأة علي مخالفة الأجواء العامة المهيمنة.

ويكتب أحد مؤرخي الحركة الإسلامية أن المسلمين في السودان حيل بينهم وبين تطبيق شريعتهم أثناء فترة الحكم الاستعماري. وهو يري أن بارقة أمل ظهرت مع الاستقلال لتقويم





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

هذا الاعوجاج وتنزيل أحكام الإسلام علي واقع الحياة. ويقول: "ومن ثم وجدت الحركة الإسلامية في استقلال السودان الحرية التي تنشدها فدعت إلى وضع المبادئ والأسس التي تكفل صياغة نظم الحكم في السودان المستقبل، وفقا لتعاليم الإسلام، وتجلت مبادرتها في فكرة: الدستور الإسلامي".(٢).

وبدأت الحركة الاتصالات بقيادات الهيئات والطوائف الدينية والأحزاب السياسية لتأييد الفكرة في إطار تجمع شعبي شامل. وبالفعل وجّه الإخوان المسلمون، وجماعة التبشير الإسلامي والإصلاح، الدعوة إلى الهيئات الإسلامية في السودان لعقد اجتماع للنظر في أمر الدستور"حتى يجيء متفقا مع إرادة الشعب السوداني المسلم ومستندا إلى الكتاب والسنة". ومن الملاحظ أن الدعوة حسمت هوية الشعب السوداني باعتباره مسلما صافيا وليس به غير المسلمين، لذلك يستند علي القرآن والسنة. ومن هنا بدأ الصراع وبذرت غرسة الخلاف. وعقد الاجتماع في العاشر والحادي عشر من شهر ديسمبر/كانون الأول ١٩٥٥. ولتأكيد دينية الاجتماع تمت دعوة اتحادات الختمية وهيئات الأنصار وليس الحزب الوطني الاتحادي وحزب الأمة.(٣)

ويكتب (حامد) عن التطور الذي حدث بعد الاستقلال: "... حينما ظهرت الحركة الإسلامية الحديثة في السودان ظهورا سياسيا في البرلمان، كان همها الأساسي منصبا علي مسألة الدستور الإسلامي." وتهدف هذه الخطة إلى التأسيس والذي يعرفه بأنه: -" تفكيك للدولة القومية -دولة ما بعد الاستقلال- وتقطيع لعلاقات (التبعية الكبرى) التي تربطها بالقوى الامبريالية، وتقطيع لعلاقات (التبعية الصغرى) التي تقوم علي الهيمنة الطائفية. فلا غرو إذن، إن كان الهدف الاستراتيجي للحركة الإسلامية الحديثة من وراء مسألة الدستور الإسلامي هو أن تحرك أتباع الطائفتين بشعار، وتحرك فيهم الحس الديني الدفين، لتخلق منهم مجموعات شعبية ضاغطة، فتنتفح بذلك نافذة للتعبير الإسلامي، والتنظيم الإسلامي". (٤).

وهكذا عملت الحركة الإسلامية علي تفكيك دولة ما بعد الاستقلال دون أن تقيم دولة بديلة حتى بعد أن استولت علي السلطة وحكمت أكثر من ٢٢ عاما. كما أن الدستور الإسلامي الذي بدأ الجدل حوله منذ ذلك الحين، سيكون الصراع حول دينية الدولة مسيطرا في الدستور الذي يدور حوله النقاش هذه الأيام.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

من الملاحظ أن هذه القضية همّشت أو أزاحت القضايا الإستراتيجية والحيوية أي الدولة الوطنية الحديثة، والتنمية. ولكن يبدو أن نشأة النخبة السودانية تميزت بغلبة القانونيين وليس الاقتصاديين والمهندسين والزراعيين، وهذا جعل الدستور أولوية وليس التنمية والاقتصاد. فقد برزت في كل الوزارات والبرلمانات شخصيات مثل: محمد أحمد المحجوب، ومبارك زروق، وأحمد خير، وعلي عبد الرحمن، ومدثر البوشي، وإبراهيم المفتي، وبابكر عوض الله، ومحمد أحمد المرضي، وحسن الترابي، وأحمد سليمان وغيرهم. واستمرت هذه الظاهرة حتى اليوم حيث يكثر عدد القانونيين في النخبة الحاكمة. ثم اختلط موضوع الدستور بسؤال الهوية الغامض والميتافيزيقي، ليحكم قبضته علي العقل السياسي السوداني. أما النخبة الإسلامية الكسولة فكثيرا، فقد وجدت المكون الديني جاهزا وشرعت في استثماره وتوظيفه، فاستمر تهميش القضايا الأساسية أو التعطيم عليها.

لا يصح التحامل علي الأحزاب التقليدية، وذلك لأن الأحزاب المسماة: عقائدية أي الشيعيين والإسلاميين والقوميين والبعثيين، لم تساعد كما كان متوقعا وبحكم حداثتها في إثراء قضية الدولة الوطنية الحديثة. فهذه الأحزاب -بلا تعسف- هي أقل قومية وأضعف ارتباطا بالوطن، لأنها ذات تطلعات أكبر من القطر-الوطن. فقد كانت شعارات هذه القوى والأحزاب فوق-قومية أو عابرة للأوطان، فهي ذات طابع عالمي أو أممي أو قومي عربي. فهذه الأحزاب تشترك في جعل السودان-الوطن مجرد وسيلة لتطبيق الإيديولوجيات الكبرى التي تؤمن بها. فالسودان -بطريقة أو أخرى- يمثل: "القطر أو الدولة القاعدة" حسب مصطلح نديم البيطار. وهذا يعني أن يبدأ منها مشروع الإيديولوجيا ثم ينطلق إلى بقية الدول خاصة في المنطقة. فهم يجعلون من وطنهم مختبرا لتجريب أفكارهم، وما التجربة الإسلامية الحالية في السودان إلا خير دليل للتجربة والخطأ. فقد تحول الشعب السوداني إلى ما يشبه الفئران في المعامل. فقد كان الإخوان المسلمون يهدفون إلى أن تنطلق الدولة الإسلامية الحديثة من السودان، وبالفعل حاول الشيخ حسن الترابي أن يجعل من الخرطوم مركزا أممية إسلامية من خلال المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي في مطلع التسعينيات بعد حرب الخليج حيث استضاف السودان كل الحركات الإسلامية المعارضة والشخصيات الإسلامية المقاتلة. وكان للشيعيين السودانيين مواقع مميزة في اتحادات العمال والشباب والطلاب العالمية في دول المعسكر الاشتراكي، التي تعبر







## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

عن أممية الحركة الشيوعية. واحتل البعثيون السودانيون مناصب في القيادة القومية لحزب البعث العربي. وهكذا ارتبطت الأحزاب العقائدية أكثر بالفكرة الرئيسية الكبرى للحزب الأم علي حساب الانتماء الوطني الضيق حسب تصورهما. وهذا لا يعني "الخيانة" ولكن يمثل الوطن في إيديولوجيتها جزءا من الكل: الأمة الإسلامية أو أمة محمد، أو أمة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج، أو الأممية العالمية المهددية بشعار: يا عمال العالم اتحدوا مع دور قيادي للاتحاد السوفيتي العظيم. وكان من الممكن أن يكون عطاؤهم الفكري والسياسي أكثر وأقوى لو انصب علي بناء الدولة الوطنية أولا وفقط. وما زال السودانيون- رغم كوارثهم- يركزون علي ما يدعونه: "دور السودان في....". ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه!

### السلام المنقوص

يلزم المقام بمقال لا يستطيع الإسهاب والتفصيل في تعامل السودانيين مع التاريخ، وكيف مارس هذا الدهاء. وكما يقال العاقبة بالخواتم، ونحن نعيش إحدي الخواتيم الآن. ولذلك سنقفز إلى الوضع الراهن.

ظنّ السودانيون أنهم قد طووا صفحة الحروب والاقْتتال والدمار، وسوف يبدأ عهد التنمية والبناء مع توقيع اتفاقية السلام الشامل في نيفاشا عام ٢٠٠٥. أمّا النظام فقد كان يعول كثيرا علي توقيع الاتفاقية وإيقاف الحرب، وبالتالي قدم تنازلات كبيرة، وقبل باتفاق مليء بالعيوب والثقوب. إذ كان النظام يري في وقف الحرب إرضاء للغرب الذي وقف باستمرار مؤيدا لمطالب الجنوبيين القومية. وحين بدأت المفاوضات التمهيديّة المبكرة، كانت العقوبات لاقْتصادية ضد النظام في السودان قد بدأت. لذلك، ولدت مبكرا علاقة ما سمي بالجزرة والعصا في السياسة الأمريكية أو الغربية عموما تجاه السودان. ومن الطبيعي أن تفهم كل سياسات النظام الخارجية تجاه المسألة الجنوب في إطار الترهيب والترغيب أو مدى خدمة تلك السياسة لعملية القرب أو البعد من أمريكا والغرب. ومن هنا يمكن أن نفهم التصعيد الحالي فيما يخص وضعية أبيي المتنازع عليها. فقد كان النظام السوداني يتوقع أن تسارع الولايات المتحدة الأمريكية برفع اسم السودان من قائمة الدول الرعاية للإرهاب إلغاء العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية. وذلك،





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

بعد أن أُجْرِيَ الاستفتاء بطريقة رضي عنها المراقبون الغربيون، ثم قبل بنتيجة الاستفتاء التي صوتت لخيار الانفصال، محتملا النقد وتهمة التفريط في وحدة الوطن. فقد كان في انتظار مكافأة أعظم من تلك التضحيات. ولكن الولايات المتحدة منذ يناير/كانون الثاني ٢٠١١ تجاوزت الجنوب واتفاقية السلام الشامل، وشرعت في التركيز علي دارفور.

لم يكن الاستفتاء مطلبا سودانيا بل هو وعد دولي وإقليمي. وخشي الشماليون أن تصح تهمة الجنوبيين لهم بنقض العهود والمواثيق. لذلك قام الاستفتاء في أجواء، كان صوت الانفصال هو الأعلى؛ ولكن ليس بأي حال من الأحوال هو الخيار الأفضل. ولكن ظروف تطبيق الاتفاقية وبالذات التقاعس عن تلبية استحقاقات التحول الديمقراطي، مما سمح بغلبة خيار الانفصال وقمع الأصوات الوحديّة.

طرح سؤال هام بعد أن أصبح خيار الانفصال في الاستفتاء أقرب إلى الحتمية، وبدأ الجميع التعامل معه كأمر واقع: هل كان الانفصال هو الخيار الأفضل؟ وفي بعض الأحيان يكون التساؤل: هل تناقصت الخيارات حتى لم يبق أمام السودانيّين غير الانفصال السلس أو السلمي؟ بالتأكيد كان المستقبل مختلفا تماما عندما وقع الشريكان اتفاقية السلام الشامل في نيفاشا في التاسع من يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٥. ورغم أن الاتفاقية كانت نتاج ضغط قوي من الدول الغربية ومجموعة الإيغاد، وكانت الإرادة الوطنية منهكة نتيجة الحرب الأهلية، إلا أن التوجه العام في روح الاتفاقية، لم يكن انفصاليا. وقد ظهر هذا جليا في بنود الاتفاقية بدءا من الديباجة. يقول المبدأ الأول في المبادئ المتفق عليها (١-١): "إن وحدة السودان، التي تقوم علي أساس الإرادة الحرة لشعبه والحكم الديمقراطي، والمساءلة، والمساواة، والاحترام، والعدالة لجميع مواطني السودان، ستظل هي الأولوية بالنسبة للطرفين، وأنه من الممكن رد مظالم شعب جنوب السودان وتلبية طموحاته ضمن هذا الإطار". ولم تقف الاتفاقية عند هذه العموميات، بل حين حددت الآليات مثل تكوين الحكومة، جاء في المادة (١-٥-٢-): "خلال الفترة الانتقالية تقوم حكومة وحدة وطنية تعكس التعددية وتعزز الوحدة الوطنية والدفاع عن السيادة الوطنية واحترام وتنفيذ اتفاقية السلام". وحتى عن الاستفتاء، تقول الاتفاقية (٥-٢): "... لكي يؤكد وحدة السودان عن طريق التصويت لاعتماد نظام الحكم الذي تم وضعه بموجب اتفاقية السلام، أو التصويت للانفصال". كانت الاتفاقية واضحة في الميل إلى الوحدة، وبالفعل





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

كان سلوك وخطاب عرابي الاتفاقية: قرنك وعلي عثمان، يؤكّدان في كل مناسبة، علي الموقف الوحدوي. ولكن كيف ولماذا حدث هذا التحول الكامل عن الوحدة والي تبني الانفصال؟

يعتقد كثيرون أن فكرة السودان الجديد دفنت مع قرنق، وقبرت معها الدعوة للوحدة. ودأب الشماليون علي اتهام سيلفاكير بالانفصالية علنا وكان يجهد نفسه لنفي التهمة، ولكن مواقفه كانت دائما تخذله. ولم يكن ميالا للحوار والنقاش الفكري ليطور مواقف جديدة، فهو ابن المؤسسة الأمنية داخل الحركة المعروفة بالصمت والغموض. وحين تقلد منصب النائب الأول ورئيس حكومة الجنوب، كان يمضي جل وقته في جوبا، ويكاد يكون غائبا عن الخرطوم.

بدأ مبكرا تكون جبهة خيار الانفصال داخل الحركة الشعبية، أساسا بسبب الخلافات المفتعلة والحقيقية مع المؤتمر الوطني. فقد بعدت الحركة الشعبية عن حلفائها التقليديين أي التجمع الوطني الديمقراطي المعارض. وكانت قد وقعت معه ميثاق القضايا المصرية في أسمرام عام ١٩٩٥. ولكن الحركة قبلت اقتراح استبعاده عن مفاوضات السلام. وبعد توقيع الاتفاقية، وجدت الحركة نفسها بلا حليف، فاستطاع المؤتمر الاستفراد بها وفرض شروطه. وكانت البداية في تشكيل الوزارة، فقد أصر المؤتمر الوطني علي وزارة الطاقة رغم أن الاتفاق يقضي بأن تكون من حصة الحركة. ووصل النزاع حدا كاد أن يطيح بالاتفاقية نفسها. وراعت الحركة الشعبية الموقف أكثر من المؤتمر الوطني. وهذه الحادثة تلفت النظر إلى وضع هام، وهو أن المؤتمر قد نجح في أن يبيع للحركة بأنه الضامن الوحيد لاستمرار وتطبيق اتفاقية السلام الشامل.

جاءت حكومة الوحدة الوطنية مكونة أساسا ممن عرفوا بالقوميين الجنوبيين، وفيهم عدد مقدر من الذين انشقوا من الحركة خلال وجود قرنق، ودخلوا في تحالفات مع النظام في صفقة ما سمي بالسلام من الداخل. وكانت تنظيمات هذه المجموعات تدعو لفصل الجنوب علانية. وكان خلافهم الأساسي حول فكرة السودان الجديد، ورفعوا شعار: الجنوب أولا. ومن جانب حزب المؤتمر الوطني، أبعدت كل الشخصيات التي شاركت في مفاوضات نيفاشا عن تشكيل حكومة الوحدة الوطنية. ويعود ذلك إلى الصراع الداخلي في الحزب، فقد اعتبر الجناح المتشدد أن فريق التفاوض قدم كثيرا من التنازلات. وتفوق المتشددون يعني أن تنفيذ الاتفاقية سيواجه عقبات





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

عديدة. وهذا ما حدث فعلا، فقد وقفت حكومة عقبة أمام إنجاز كل ما يؤدي إلى تحقيق التحول الديمقراطي المنصوص عليه في صلب الاتفاقية والدستور الانتقالي. ومع تصاعد المواجهات بين الشريكين، وغياب التوافق؛ تراجعت الحركة عن الدفاع عن القضايا ذات الطابع القومي. وتخلت الحركة تدريجيا عن نظرتها الوحديّة. وفي هذه الأوقات زاد الحديث عن فكرة الوحدة الجاذبة. ولكن رآه البعض شعارا بلا مرجعية محددة أي ما هي الآليات والسياسات التي يمكن أن نقول عنها إنها تجعل الوحدة جاذبة؟ ومع ذلك ظلت الحركة الشعبية تتهم شريكها المؤتمر الوطني بأنه عجز عن جعل الوحدة جاذبة. ولكن السؤال: هل المؤتمر الوطني وحده المطالب بهذه المهمة أم أنها مسؤولية جماعية تشترك فيها حتى القوى من خارج الحكومة؟ ودخل الطرفان في عملية تلاوم بينما وقت الاتفاقية يمر، والعناصر الانفصالية صار لديها الدليل أو المبرر علي استحالة الوحدة.

ومن أهم الأسباب التي منحت خيار الانفصال الأفضلية هو بروز جماعة انفصالية شمالية، نظمت نفسها في: منبر السلام العادل. ويبدو أن التنظيم يجد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، دعما رسميا. فأصدر صحيفة "الانتباهة" والتي صارت من أكثر الصحف توزيعا، رغم لغتها العنصرية في كثير من الأحيان. وقد أحدثت الصحيفة يساندها التنظيم شرخا كبيرا في العلاقات الجنوبية-الشمالية. وتستخدم الصحيفة أسلوب المهاترة والتجريح الشخصي، واستهدفت أساسا بعض رموز الحركة من القياديين وعلي رأسهم باقان أموم وياسر عرمان. ولعب تنظيم منبر السلام العادل وصحيفة الانتباهة، دورا مؤثرا في عملية استقطاب الانفصاليين في المعسكرين. وساعدا في تغليب خيار الانفصال من زخم إعلامي وسياسي منظمين مع غياب كتلة منافسة لها نفس التأثير تدعو للوحدة.

تقود النقطة الأخيرة إلى التساؤل عن أين كان دور القوى الأخرى عدا الشريكين الحاكمين؟ وقفت الأحزاب السياسية الشمالية المعارضة تتفرج وهي شامطة تنتظر تورطا أكثر للمؤتمر الوطني في المشكلات مع الجنوبيين. ولكن الأهم من ذلك، أن جميع الأحزاب كانت تعيش حالة مزريّة من الضعف والانشقاقات التي أقعدتها عن النشاط الفعّال علي الساحة السياسية خلال تلك الفترة الحرجة. وقد مارس المؤتمر الوطني إستراتيجية ناجحة لاختراق هذه الأحزاب، وبالفعل





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

تم من ضم أجنحة من الأحزاب إلى الحكومة. أما الأحزاب الجنوبية فاكتفت بالشكوى من هيمنة الحركة وتخويف معارضيها وابتزازهم. بالفعل لم يكن المرء يشعر بوجود الأحزاب الأخرى في الجنوب. وهذا ما يفسر الغياب الحالي للصوت الموحد في الاستفتاء، خاصة وقد قامت الحركة بـ"بروفة" جيدة لإسكات المخالفين في انتخابات أبريل / نيسان ٢٠١١. ولكن مع قرب انتهاء أجل الاتفاقية أحست الحركة بأن المؤتمر الوطني قد استفرد بها، فهناك الكثير من استحقاقات الاتفاقية لم يتم تنفيذها ونحن في نهايات عام ٢٠١٠. وهنا شرعت الحركة في التقارب مجدداً إلى الأحزاب الشمالية. ونشط ما سمي بتحالف أحزاب جوبا، ورغم وجود الحركة في حكومة الوحدة إلا أنها عملت مع المعارضة في نفس الوقت. وكان وضعاً شاذاً خاصة وأن سيلفاكير لم يبارك هذه الخطوة التي تحمس لها أموم وعمران، وتم اعتقالهما لساعات رغم وضعهما الدستوري.

لم يدم التحالف طويلاً بسبب غلبة التوجه الانفصالي داخل الحركة. فهي لم تعد راغبة في تحالف طويل المدى مع الأحزاب الشمالية، لأن عينها على الاستفتاء الذي سيتم بعد شهر. لذلك، كانت أجنحة قوى تحالف أحزاب جوبا متباينة، فقد كانت الحركة الشعبية تعمل على الضغط لتمرير قانون الاستفتاء من داخل البرلمان. بينما كانت الأحزاب الشمالية تعمل على إلغاء القوانين المخالفة للدستور والمعلقة للتحويل الديمقراطي. ولم تستمر الحركة مع الأحزاب في معركتها الدستورية من أجل الديمقراطية وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان. وهي مطالب تكرر كثيراً في ثنايا اتفاقية السلام الشامل. وكانت شديدة الحماس لها وصارت لفترة جزءاً أصيلاً من خطابها السياسي.

ولكن مع تصاعد التيار الانفصالي، اعتبرت مسألة التحول الديمقراطي، قضية شمالية أو قومية عامة. وتوقف نشاط الحركة بل ماتت الفكرة كلها. إذ عقب إقرار قانون الاستفتاء ابتعدت الحركة وتوقف العمل. وكان هذا السلوك من الإشارات القوية على أن الخيار الانفصالي أصبح طاغياً على كل الأصعدة.





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

### المستقبل المأزوم

قدمنا في الصفحات السابقة تحليلاً لتطور التوجه الانفصالي لدى الجنوبيين وبالتحديد الحركة الشعبية. أما في الجانب الشمالي، فقد تنامي تيار يدعو للانفصال وقد حصل علي تأييد ضمني من النظام، أو علي الأقل استفاد من التواطؤ. فقد غض النظام النظر عن كل ممارسات الانفصاليين بالذات حملاتهم الإعلامية وما حملت من تجاوزات وانتهاكات. وقد تعامل النظام ممثلاً في أعلي قياداته باستخفاف شديد مع الانفصال، بل أبدي بعضهم فرحتهم به. ففي سؤال لأمين حسن عمر عن صدمة الانفصال نفي وجود أي صدمة، لأن الوحدة -حسب رأيه- لم تكن خيار الجميع. وظل يكرر نفس الموقف، وأورد هنا نص إجابته علي سؤال: كيف ستعاملون مع مشكلات ما بعد الانفصال. يرد: "صحيح أن السودان اليوم يواجه مشكلات، وبالأمس كان يواجهها وقبلها عندما كان هناك حكام آخرون كانت المشكلات أكثر حدة وشدة من هذا الحال، نحن لم نعد أحداً بأننا سنحول السودان إلى جنة عدن، ولم نعدهم بأن الأمور ستكون أفضل من قبل من غير جهد أهل السودان، نحن نقود مسيرة أمة ونجتهد فربما نصيب أو نخطئ، الأمة نفسها ستنال كسبها إذا أنتجت أكثر من حاجتها وصادرها أكثر مما تستورد، ويعلم الجميع أن السودان لم يبلغ هذا المبلغ. "ويواصل: -"أما انفصال الجنوب فهو بإرادة أهله، والخيار الآخر كان أن نفرض عليهم استعماراً، ٩٩% النسبة التي قيل إنها تحققت في الجنوب وهي لا شك بها قدر كبير من التزوير، فإن ٧٠% من أهل الجنوب الموجودين في الشمال، قالوا إنهم لا يريدون انفصلاً، أما الخيار الآخر أن يقال إنه من الأخلاق والعمل السياسي أن نحفظ بجنوب موحد مع الشمال على الرغم من إرادة أهله، هذا موقف غير صحيح سياسياً وأخلاقياً، الذين يحملون الحكومة ذهاب الجنوب هم من يتحملون مسؤولية ذلك، وهم من يجب أن يُساءلوا سياسياً وأخلاقياً، فجميعهم شاركوا لوضع هذا الدستور وقبلوا بتقرير المصير، إذن الموقف الطبيعي أن نقبل بالنتيجة، فهذا موقف يجب أن تحمد عليه الحكومة لا تزدم به". (٥) وسبق له في مناسبة أخرى أن قال بأن انفصال الجنوب لم ينقص من موارد السودان ولا من فرصه في النهضة إلا قليلاً. وفرص السودان في النهوض والتنمية يمكن أن تزيد بالانفصال لا أن تنقص (٦).

يري صلاح الدين أن قضية الجنوب لم تعد تهيمن علي المسرح السياسي إلا أن البحث عن بناء الدولة سيستمر بديناميات مختلفة. وهنا يتضح لنا كيف أن التاريخ يكرر نفسه أو علي الأقل





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

يتحرك دائريا وليس تصاعديا في السودان. يقول: "مثلما حدث في السابق، فغن قضايا مثل الحكم والاقتصاد والهوية يجب أن تناقش ولكن دون الظلال الكثيفة التي كان يلقيها عليها الجنوب". ويبقى حذرا في التوقعات والمستقبل، حين يقول: "رغم التضحيات الهدف من السلام لم يتحقق، الدولتان تتأرجحان علي حافة الحرب". وهنا يؤكد علي ضرورة الإصلاح السياسي، واختيار نهج التراضي بعيدا عن الدائرة الشريرة: دورة الانقلابات والديمقراطية. ولكن هذا في نظره غير ممكن مع خطر الحرب. كما يري أن قضايا ما بعد الانفصال المتضمنة في قانون الاستفتاء لم تتم تسويتها(٧). وهو لا يخبرنا لماذا تركت كل هذه القضايا معلقة حتى ما بعد الاستفتاء؟ هذا دليل دامغ بأن الاتفاق لم يكن شاملا لا للقضايا ولا للأطراف السياسية.

قضايا الصراع -كما تسمي- هي الأصعب وكأن هذا السلام يعني فقط إيقاف الاقتتال. فقد تبقت مشكلات معقدة وتهدد الاستقرار، مثل: أبيي، جنوب النيل الأزرق، جنوب كردفان، ودارفور. يضاف إلى ذلك أن اقتصاد الشمال فقد ثلث موارده، ولم يصل الطرفان إلى تسوية في موضوع عائدات النفط. ولم تتحقق التوقعات والآمال وعلي رأسها الأمن والاستقرار مما يعني جذب الاستثمارات. والحديث عن إنفاق ما كان يصرف علي الحرب علي أوجه التنمية المختلفة. ويتحدث النظام هذه الأيام عن الإصلاح الداخلي يهدف لتحقيق الوحدة الوطنية القائمة علي دستور توافقي. وأولوية الدستور -حسب النظام- الهوية والدين، وسيكون الأمر اقل صعوبة مما كان عليه في السابق مع الجنوب (صلاح الدين). ويضاف إلى ذلك، قضايا الحكم الفدرالي، النظام الانتخابي، القضايا الاقتصادية والاجتماعية.

يكرر النظام السوداني الأخطاء وسوء التقدير، لأنه يريد أن يبني المرحلة القادمة علي نفس الأسس التي أنتجت الصراع الحالي الممتد منذ الاستقلال، أي الإصرار علي الدولة الدينية. فقد قال الرئيس عمر البشير في كلمة ألقاها في مدينة القضارف شرق السودان في ١٩ ديسمبر / كانون الأول ٢٠١٠ قبل إجراء الاستفتاء: "إذا اختار الجنوب الانفصال سيعدل دستور السودان وعندها لن يكون هناك مجال للحديث عن تنوع عرقي وثقافي وسيكون الإسلام والشريعة هما المصدر الرئيسي للتشريع وأكد أيضا في هذه الكلمة التي نقلها التلفزيون أن "اللغة الرسمية للدولة ستكون العربية". ويمكن فهم سياسة النظام الحالية علي ضوء هذا الإعلان الصريح. فقد تحقق





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

بالانفصال، خلق سوداني نقى: إسلاميا وعربيا بعد أن زالت عقبة الجنوب. ويمكن اعتبار هذا التصور سببا في بعث إستراتيجية العودة للاقتتال في جنوب كردفان وجنوب النيل الأزرق. وبغض النظر عن من البادئ؟ إذ كان من الممكن تفادي الصدام لو كانت عناك رغبة في سلام مستدام.

### ما العمل؟

يقف السودان المتبقي بعد الانفصال في مفترق طرق تماما، طريق النهضة والتعافي وإعادة التأهيل، أو طريق الانهيار والسقوط والتفسخ. فقد دشن الانفصال تاريخا طويلا من التخبط والفشل وعدم الجدية والغباء السياسي. فالانفصال صفة التاريخ الطبيعية للسودانيين الذين فرطوا في فرص نادرة لتحقيق الاستحقاقات الوطنية وعلي رأسها الدولة المدنية الحديثة. وقد أصبح موقف السودان أكثر تعقيدا وهشاشة فقد ضعفت القدرات والموارد المادية والبشرية، وتناقص التعاطف والاهتمام. ونستعيد هنا نظرية المؤرخ المعروف أنولد توينبي عن قيام ونشوء الحضارات، وأرجع ذلك إلى قانون التحدي والاستجابة. وهو يعني أن الشعوب والثقافات تقابلها بعض التحديات البشرية والطبيعية تصل أحيانا إلى حد تهديد وجودها نفسه، وبمقدار قوة وايجابية الاستجابة والتعامل مع التحدي تنجح وتنهض الحضارات والشعوب. والآن يعيش السودان تحدي وجود بعد أن فقد - مجانا- جزءا حيويا من كيانه، فهو مطالب باستجابة في مستوى التحدي وهذا اختبار جديد للشعب السوداني الذي يحمل تقييما عاليا لذاته لم يثبت الحدث الأخير أنها صحيحة.

كانت القوى السياسية السودانية المعارضة تكرر حين تسأل عن المستقبل ومماذا لديها من برامج وخطط؟ تجيب انتظروا ما بعد ٩ يوليو/ تموز ٢٠١١. ولكن جاء ذلك اليوم الموعود ولم نر جديدا. والسلطة الحاكمة تتعامل مع الواقع الجديد بطريقة روتينية ومكتيبة وبطريقة تجارة التجزئة. ولم يحرك هذا التحدي العظيم الذي هو أقرب إلى يوم القيامة لدي الشعوب الحية، ساكنا غير الكلام العاطفي والممجوج عن الوشائج والروابط التاريخية. فمن الملاحظ أن القوى السياسية والمهتمين بالشأن العام تعاملوا مع الأمر وكأنه قضاء وقدر، وبالتالي لا يحتاج







## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

للتفسير والتفلسف وعلينا التعايش معه وكفي. بينما هذه فرصة للتأمل والنقد بل حتى لو وصل الأمر لحد جلد الذات لأن الإثم عظيم. فهل يوجد وقت أفضل من هذه اللحظات لكي يجلس السودانيون معا للتفكير في مستقبلهم؟ للأسف جاءت البداية محبطة وتظهر إصرار السودانيين علي تكرار أخطائهم ببراعة يحسدون عليها! وبعد أقل من أسبوع من الكلام المعسول (أو المعسّل) يسفر النظام عن حقيقة موقفه من انفصال الجنوب. وبدأت حملات الانتقام والتشفي بدءاً من الإسراع في سحب الجنسية من الجنوبيين قبل التفاوض مع الطرف الآخر بل لجأ للمفاجأة والغدر. ولم يرتب كثير من الجنوبيين أوضاعهم لا في الشمال ولا في الجنوب. وبكر النظام بإغلاق الصحف التي يملكها جنوبيون لكي يقضي على أي صوت معارض أو مختلف محتمل. ثم جاء موضوع العملة.

فالنظام ما زال لا يفكر في المستقبل بطريقة إستراتيجية، وسوف يهتم فقط بوضع العقبات أمام الجنوبيين لإثبات عدم قدرتهم علي حكم أنفسهم. ولكن المهم هو هل يستطيع الشماليون أنفسهم حكم بلادهم بمثل هذه السياسات قصيرة النظر؟ وقاصمة الظهر- كما يقال- سكوت المعارضة، فالنظام لا يجد من ينصحه رغم أنه لا يصغي لأحد. وقد كان رد فعل المعارضة تجاه الانفصال غريباً، فقد غابت البيانات والندوات وطبعا المواكب. وانقسمت المعارضة إلى طائفتين، إحداهما ساكته تماماً بكما لا تتحدث، والثانية لا تسكت أبداً ولكن لا تقول ما ينفخ الناس ولا تتبع القول بالفعل.

هذا الوضع الحرج يفرض علي السودانيين ضرورة الوصول سريعاً إلى عقد اجتماعي جديد أو مشروع قومي سوداني حديث وديمقراطي رغم تشاؤم السودانيين من مصطلح مشروع. وهذا ملتقى فوق حزبي وغير قبلي وجهوي وفتوى أي قومي مطلقاً بدون أجندة خاصة. وهذا مطلب صعب ولكنه ضروري، في الحالة السودانية. إذ يتسم الوضع السوداني بقدر ملحوظ من التشرذم والانقسامية باعتبار أن السودانيين بعد المنح الطويل للعمل السياسي العلني، فقدوا القدرة علي العمل الجماعي. فقد صارت الانقسامات والخلافات هي القاعدة داخل الأحزاب وفي علاقاتها البيئية. وهذا في حد ذاته، من التحديات أي تتسامي الأحزاب فوق خلافاتها الهامشية وتعمل معا من أجل أهداف قومية. ويبدو أن المؤتمر الوطني الحاكم شعر قبل المعارضة بالحاجة إلى مثل هذه المنابر والعلاقات، ولكن بطريقته وأساليبه. وكان جهاز الأمن الوطني قد





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال

Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

بادر بالدعوة إلى حوار وقد اصطدم بعدة عقبات مثل الحديث عن سقف الحوار والتعرض لموضوع تطبيق الشريعة.

تركز اللقاءات الرئاسية مع الأحزاب التقليدية الكبيرة علي قضيتين، هما: حكومة قومية أم حكومة ذات قاعدة عريضة، وهذا خلاف شكلاني ولكن يكشف عن النوايا والجديّة. وأما القضية الثانية فهي الدستور الجديد، وهو بدوره ضرورة مع انقضاء فترة الدستور الانتقالي. ومشكلة العقل السياسي السوداني هو أنه في أحيان كثيرة يخلط بين الغايات والوسائل، ويعكس الترتيب والأولويات. فالدستور والحكومة القومية هما في حقيقة الأمر وسائل لتحقيق قدر من الوحدة والروح القومية والاتفاق المفقودين بين السودانيّين. ومن الملاحظ أن الجميع يتعامل معها كغايات وأهداف نهائية، ومع إنجازها تحل كل المشكلات. وهذه من موضوعات الصراع حول السلطة السياسية التي لازمت تاريخ السودان منذ الاستقلال، حتى أوصلته أخيراً محطة الهلاك الراهنة. لذلك، أي حوار جديد لابد أن يعمل علي البحث عما يجمع السودانيون أي المشترك القومي.

أمام السودان نهجان لا ثالث لهما: النهضة من خلال عقد اجتماعي أو مشروع قومي لسودان حديث وديمقراطي. والخيار الثاني هو الانهيار وقد بدأ. فالبلاد بالإضافة للتفسخ السياسي والذي تمظهر في انفصال الجنوب، تتعرض كل مؤسساته التي تقيم الدولة والمجتمع للتآكل والفساد. ويمكن القول إن السودان يحتاج نوعاً من القطيعة السياسية مع عدم الندم علي الماضي، فهو مجرد عبرة ودروس من الأخطاء. ومن الواضح أن الخوف ما زال يلازمنا من الجديد والتجديد. فنحن نصرخ ونلعن الأوضاع السياسية الماضية ولكن لا نتقدم خطوة واحدة نحو إرساء الجديد والبديل المختلف. أما طريقة التنفيذ فهي في منتهي السهولة. فقد ظللنا منذ زمن ندعو إلى مؤتمر دستوري فلتتحول هذه الدعوة إلى مؤتمر قومي لتجنب الانهيار والسقوط. تقدمت القوى السياسية القديمة والجديدة بالإضافة للشخصيات القومية والمفكرين، بكثير من المواثيق والمقترحات، لذلك لن تكن البداية من الصفر. والمتوقع منها في هذه الحالة أن تتفق حول مبدأ تغيير النظام والسودان. خاصة وأن النظام نفسه صار يتحدث عن التغيير والإصلاح حسب تصوره ولكن اقتنع باستحالة الاستمرارية. وقد يختلف السيناريو السوداني -بسبب





## دولتا السودان.. فرص ومخاطر ما بعد الانفصال Sudan's Two States.. Post-Secession Opportunities and Risks

خصوصية البلد- عن مسارات الربيع العربي، ولكن المقصد والغاية لا يختلفان. فقد أصبحت شعارات الثورة الفرنسية مع تحوير طفيف تجمع الكل: الحرية، العدالة والكرامة. ويمكن للمشروع أو الميثاق السوداني أن يتبنى هذه الشعارات ويطورها ويضمها أدبياته. لقد هدرنا كثيرا من الحبر والكلام ولكن لم نجمع علي عمل شيء مشترك، أليس الأفضل من هذا الظرف هو الانتقال من اللفظية والكلام إلى الفعل؟

يتمثل الخلاص من حالة الصراع الراهنة في ضرورة الإسراع في التوصل إلى عقد اجتماعي يركز على:

١. الدولة المدنية بغض النظر عن المرجعيات المصاحبة لها.
٢. القبول بالآخر المختلف.
٣. نظام ديمقراطي يجمع بين محاسن التوافقية والتنافسية.
٤. تنمية من تحت إلى فوق، وعادلة.
٥. سياسة خارجية قائمة علي الندية.

### مصادر

- ١- السودان ما بعد الانفصال.. التحديات والفرص، محاضرة في مدرسة الدراسات الإفريقية والشرقية-لندن، ١٧ ديسمبر ٢٠١١ ترجمة بابكر فيصل بابكر.
- ٢- محمد الخير عبد القادر: نشأة الحركة الإسلامية الحديثة في السودان ١٩٤٦-١٩٥٦. الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ١٩٩٩ ص (١١٠). وهذا فقد جاء في قرارات المؤتمر الأول للحركة والذي عرف بمؤتمر العيد (اغسطس ١٩٥٤) في أحد البنود: -"إقامة حكومة إسلامية تنفذ تعاليم الإسلام.
- ٣- (نفس المصدر السابق).
- ٤- مجلة: قراءات سياسية، السنة الثانية، العدد الثالث، صيف ١٩٩٢، ص ٤٣-٤٤.
- ٥- جريدة الاخبار الصادرة بتاريخ ٢٩ سبتمبر / أيلول ٢٠١١.
- ٦- موقع وزارة الدفاع السودانية ١٠ يوليو/ تموز ٢٠١١.
- ٧- السودان ما بعد الانفصال... مصدر سابق.

انتهى

